



الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من أهم القضايا المؤثرة في فكر وعقيدة الجماعات (الجهادية) وتصرفاتها هي فكرة (قطف الثمرة)، فما هي؟ وكيف

يكون تأثيرها؟

المقصود بها:

الوصول إلى الغاية من (الجهاد)، ألا وهو الحكم؛ لتطبيق الشريعة وإقامة الدين، حسب كل جماعة وأفكارها.

المنشاُ التاريخي لهذه الفكرة:

عانت الدول الإسلامية في العصر الحالي من احتلال غربي أسقط الدولة العثمانية، وقسمَ تركتها بين دول حلفه، التي مارست جميع أنواع الفساد والظلم والاضطهاد والتجهيل على الشعوب الإسلامية، وعملت على سلح البلد المحتلة عن دينها وحياتها، فقامت حركات جهادية تحريرية مباركة لطردتها، قادها المخلصون من أهل البلد، وما إن شعر المحتل بقرب زواله عن البلد حتى اصطنع عمالء له في صفوف المقاومة بخطءٍ ماكراً خبيثة صدرُ لهم وسلطت الضوء عليهم حتى صاروا رموزاً يشار لها بالبنان.

وما إن خرج المحتل حتى حكم هؤلاء الأذناب البلد نيابة عن المحتل، ومارسوا على الشعوب ألوان العذاب والبطش، وقد تكرر هذا الأمر عشرات المرات مع كل حركة انتفاضة أو احتجاج على هذه الأنظمة، فكان أهل العلم والدعاة والمجاهدون محل بطش هذه الأنظمة، وذاقت المشانق والسجون من لحومهم وأعراضهم حتى التخمة.

مكانة فكرة (قطف الثمرة) بين أفكار الجماعات (الجهادية):

من رحم الطغيان والاستبداد وإجرام السجون والمعتقلات والشعور بمرارة ضياع ثمرة الجهاد وسقوط آخر دولة إسلامية نشأ الغلو المعاصر ردَّاً فعلَ غير منضبطة، فظهر تكفير الحكومات ردَّاً على هذه الجرائم، ثم انسحب الأمر على كبار

موظفيها وعساكرها الذين يحمون أمنها، حتى بلغت النقطة إلى المشايخ العاملين في هذه الحكومات أو الذين لم يوافقوا هؤلاء في تكفيرها، فأسقطهم الغلاة بالتكفير تارة، والتخوين تارة أخرى.

ثم اعتنقوا القتال طريقاً وحيداً للتغيير في المجتمع والتعامل مع الحكومات، وأسقطوا كل ما عداه من أبواب الدعوة والجهاد، وأطلقوا عليه أسماء كبيرة جانبة مثل (الفيضة الغائبة)، وعدوا من لم يحمل السلاح ولم يقاتل منحرفاً عن الحق، راضياً بحكم الطواغيت، مواليًّا لهم، واعتقدوا أن الطائفة المنصورة لا تكون إلا مقاتلة حاملة للسلاح.

ومع ازدياد غلو هؤلاء في الآراء والمعتقدات وتوسيعهم في التكفير شعروا بالغرابة عن مجتمعاتهم، ففاصلوها وقاطعواها، وواسوا أنفسهم بنصوص غربة في آخر الزمان، وبرروا بها قلة سالكي طريقهم، والذي تطور معهم إلى أن أصبح الانفراد عن المسلمين وجماعتهم هدفاً في حد ذاته، ودليلًا على صحة منهجهم يسعون إليه.

ثم أنزلوا بقية نصوص آخر الزمان على أنفسهم، وظهر بينهم التبشير بقرب ظهور المهدي، ونزول المسيح، بل صار هدفًا يُسعى إليه في الكثير من الأحيان.

ولحماية هذه الأفكار والمعتقدات والأعمال من الانكشاف اتخذت هذه الجماعات السرية منهجاً ومسلكاً لحماية تنظيماتهم ودعوتهم، حتى صار إخفاء الاسم والشخصية سمة عامة لها، سواء تطب الأمر ذلك أم لا، كما ظهر عندهم الكذب الصريح والغدر ونقض العهود تحت عناوين (الحرب خدعة، والكذب للمصلحة) ونحو ذلك.

لمحة عن عمل هذه الجماعات في المجتمعات الإسلامية:

بالنظر لتجارب هذه الجماعة خلال السنوات السابقة تتضح الملامح العامة لخطة عملها كالتالي:

1- تضع هذه الجماعات أهدافاً لها لا يمكن تحقيقها واقعاً، وغير صحيحة شرعاً، وتجعل هذه الأهداف هي (ثمرة الجهاد) التي تعمل على تجنيد الناس والمجتمعات نحوها؛ لأنها الحق والشرع الذي لا يجوز المحيid أو التنازل عنه.

2- تبتدئ هذه الجماعات بالعمل في المجتمعات التي تظهر فيها بالتعرف على أفراد من المجتمع من خلال الدعوة وال العلاقات الخاصة، وتعمد إلى إخفاء غالب أفكارها ومعتقداتها عن عامة الناس، وتعمل على تجنيد الأتباع شيئاً فشيئاً مستخدمة في ذلك جميع أساليب الإغراء والخداع الممكنة، ومنها تقديم الخدمات العامة للمجتمعات.

3- ما إن تجد هذه الجماعات لها موطئ قدم حتى تبدأ تعلن عن أفكارها الحقيقة شيئاً فشيئاً، ولاعتقادها أنها هي صاحبة المنهج الصحيح والسليم، وأنها الأحق بقيادة المجتمع فإنها تجتهد في حث مكونات المجتمع على اللحاق بها، وتبذل فيه حقيقة جهدها، وتتخد المكونات المختلفة والتجمعات وسيلة للوصول لكافأة أفراد الجماعات الأخرى، دون الحرص على وحدة الصف أو اندماج حقيقي مع الآخرين، وتستخدم ما تستطيع من أساليب الخداع والكذب في سبيل ذلك.

4- يبدأ نشاط هذه الجماعات أكثر تسارعاً، وتتخد خطواتها منحى غير منطقي فيما يظهر لغالبية الناس نظراً لإنسافارها عن حقيقة معتقداتها وأفكارها، ويحصل هذا في إحدى حالتين:

الأولى: عندما تظن هذه الجماعات أنها وصلت إلى مرحلة التمكين الذي تستطيع فيه أن (تقطف الثمرة)، فتعلن عن نفسها ظانة أنها قاب قوسين أن تحقق وعد الله في الأرض، وأن الناس سيلتحقون بها زرافاتٍ ووحداناً!

الثانية: عندما تظن أن مؤامرة (خطف الثمرة) قد نضجت، وأنه لا مناص من الاصطدام بها وقتلها لمنعها من هذا الاختطاف، مع اليقين بالنصر عليها ثم التمكين!

وفي كلا الحالتين تختلف نبرة تصرفات وخطابات هذه الجماعات، وتظهر فيها الشدة والقسوة والتصرفات الرعناء، مما يدفع الجماعات الأخرى وكافة أفراد المجتمع إلى رفض مشروعها، وهنا يبدأ التخوين والوصف بالعملة بسبب طبيعة نظرية هذه الجماعات لأي مشروع غير مشروعها، وتببدأ بالتهديد وتتدرج فيه إلى أن تعلن التكفير لكل من يخالفها.

ثم أصبح مجرد التكفير لا يكفي، فأضيف له التشفي بأنواع القتل والتعذيب، والتلفظ بأنواع السباب والشتائم.

5- بعد تكرر الهزائم التي منيت بها هذه الجماعات خلال عشرات السنين والتجارب المختلفة اضطرت لمواجهة أنصارها بخطاب آخر تبرر فيه ذلك بالتأكيد على أن الخسائر والتضحيات ضرورة ما قبل التمكين، وتتكرر المحاولات والتجارب!

مثال تطبيقي على هذا الأمر:

تشترك الجماعات (الجهادية) بما سبق من عوامل ظهور وخطوات عمل مع فروق يسيرة بينها، وسأكتفي في هذا المقال بتقديم مثال تطبيقي على ذلك من خلال بعض أفكار تنظيم (الدولة الإسلامية) "داعش" بمحطات سريعة مختصرة؛ وذلك لأنها حاضرة ماثلة أمام القراء، وكونها من أكثر الجماعات إنتاجاً فكريًا وإصدارات:

أولاً: مكانة فكرة (قطف الثمرة) في أفكار التنظيم:

قال أبو عمر البغدادي في كلمة (حصاد السنين بدولة الموحدين) بتاريخ 17-4-2007م:

"إنا حينما أعلنا دولة الإسلام لم نكن فحسب نحاول قطف الثمرة بعد نضوجها بل إن الثمرة سقطت سقوطاً حراً فالقطنناها قبل وقوعها في الوحل وصارت في أيدينا أمينة نظيفة..."

فما الذي حدث بعد سقوط الاتحاد السوفييتي؟ وتناثر الشعوب الإسلامية بعيدة عن المركز الشيعي؟ لقد وقعت فريسة للشيوخية والعلمانية. وما الذي حدث بعدما وقف المجاهدون من المهاجرين والأنصار على أبواب عاصمة الصربي في حرب البوسنة؟ ببساطة إنها اتفاقية دايتون للسلام المزعوم. وماذا بعد سقوط الثمرة في أفغانستان واندحار العدو أيام الأحزاب؟ قتل وخراب ودمار ما زال وصمة عار في جبين كل من شارك فيه.

أمة الإسلام لقد عزمنا أن لا نكرر المأساة وأن لا تضيع الثمرة فلا يل遁 المؤمن من جحر مرتين" انتهى.
وقال في كلمة (وقاتلوا المشركين كافة) بتاريخ 9-9-2008:

"إننا لم نقدم آلاف الشهداء وعشرات الآف من الأسرى لكي تضيع ثمرة الجهاد وتحول بلاد الرافدين من علمانية بعثية إلى علمانية أمريكية تحت دعوى الوحدة الوطنية" انتهى.

وقال أبو حمزة المهاجر في (اللقاء الصوتي الأول) بتاريخ 24-10-2008م:

"بعد خروج المحتل إذاً تكون المعادلة هي: مجموعة من العلمانيين والوطنيين والبعثيين لم تُجهد نفسها في قتال حقيقي تمتلك المال والسلاح والرجال، ومجاهدون في سبيل الله خرجن منهن بالجراح أنفقو ما في جعبتهم من مال وسلاح، ونتيجة المعادلة في هذه الحالة: حكم وطني علماني وإبعاد للدين وأهله، وهو ما كان في كل الصراعات التي حدثت في العصر الحديث وسقطت ثمرته -أي ثمرة الجهاد- في أيادٍ خبيثة كما في الجزائر ومصر والمغرب وباكستان، فأفسد مشروع الدولة الإسلامية بحمد الله جميع مخططاتهم ورد الله مكرهم وكيدهم في نحورهم" انتهى.

ثانياً: إخفاء الهدف النهائي والكذب بمشاريع مرحلية:

تطور تنظيم (الدولة) منذ دخوله إلى العراق عبر جماعات متعددة تعلن أهدافاً محددة في محاربة الأعداء وطرد المحتلين كجماعة (التوحيد والجهاد)، ثم (القاعدة في بلاد الرافدين) دون أن تعلن عن هدفها النهائي، كما دخلت بشركاء واتفاقيات متعددة بينواد وأهداف محددة متفق عليها ك (حلف المطبيين) و(مجلس شورى المجاهدين)، واستغلوا هذه التنظيمات والشراكات في إثبات وجودهم، وتقوية حاضنتهم، لكنهم كانوا يبيتون نقضها والغدر بشركائهم حين تمكنتهم، ويعملون لذلك بالنخر في الجماعات الأخرى كما سيأتي بيانه، فلما حصل لهم ما أرادوا أعلنوا الدولة منفردين، **وذلك كما يلي:**

1- إخفاء الهدف الحقيقي من المشروع:

قال أبو حمزة المهاجر في (اللقاء الصوتي الأول) بعد إعلان الدولة:

"ينبغي أن يدرك الجميع كما قررنا ذلك مراراً أننا نقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يكون ذلك إلا بحكم و إماراة، فإن إنشاء دولة إسلامية في العراق هدفٌ لنا جميعاً منذ أول طلقة أطلقناها على المحتل وأعوانه، وحلمٌ ظل يراود نفوسنا وكنا نعمل له

بكل جد واجتهاد، فأنفقنا له الأموال وسكننا الدماء الغزيرة.

ومن الناحية العسكرية: فقد كثفنا عملنا في كل مناطق أهل السنة، ورمينا بكل ما في جعبتنا عسكرياً لهذا الهدف" انتهى.
ومثل هذا حدث تماماً في سوريا حيث أعلن التنظيم عن تمدده إلى الشام وسمى نفسه (الدولة الإسلامية في العراق والشام)
بعد أن بقي شهوراً طويلاً يعمل تحت اسم (جبهة النصرة)، قال أبو بكر البغدادي في كلمة (وبشر المؤمنين) بتاريخ 9-5-2013م:

"انتدبا الجولاني - وهو أحد جنودنا - ومعه مجموعة من أبنائنا، ودفعنا بهم من العراق إلى الشام، على أن يلتقطوا بخليانا في الشام، ووضعنا لهم الخطة، ورسمنا لهم سياسة العمل، ورفدناهم بما في بيت المال مناصفة في كل شهر ... أن جبهة النصرة ما هي إلا امتداد لدولة العراق الإسلامية وجزء منها، وقد عقدنا العزم بعد استخارة الله تعالى، واستشارة من نثق بدينهن وحكمتهم: على المضي بمسيرة الرقي بالجماعة ... فنعلن متوكلين على الله: إلغاء اسم دولة العراق الإسلامية، وإلغاء اسم جبهة النصرة، وجمعهم تحت اسم واحد: (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، وكذلك توحيد الراية راية الدولة الإسلامية راية الخلافة إن شاء الله" انتهى.

وجميع ذلك دون إعلامٍ أو استئذان لأهل الجهاد والعلم ولمن معهم في الصف نفسه من الجماعات.

سبب هذا الإخفاء والكذب:

تعتقد هذه الجماعات أنها الأصح عقيدة والأكثر فهماً للدين؛ لذا فإنها الأحق بإقامة المشروع وقيادة الأمة، بينما بقية الناس جهله لا أهلية لهم للاستشارة أو الرأي، وإنما يقع عليهم جانب السمع والطاعة وتنفيذ المشروع!

قال أبو عمر البغدادي في كلمة (حصاد السنين بدولة الموحدين): "إننا حين أعلنا دولة الإسلام وأنها دولة هجرة وجihad لم نكن نكذب على الله ولا على الناس، ولم نكن نتكلم عن أضياف أحلام، لكننا بفضل الله تعالى الأقدر على فهم سنة الله في هذا الجهاد، هذا الفهم منشؤه دماء المجاهدين من مهاجرين وأنصار بعد معايرة أخلاقهم ومنهجهم" انتهى.

وقال أبو بكر البغدادي في كلمة (وبشر المؤمنين) عن إعلان الخلافة:

"إن الارقاء من مرتبة أدنى إلى مرتبة أعلى من مكارم الله تعالى للجماعات الجهادية، وهو دليل على بركة عملهم ... وهذا الارقاء لا يفكّر به إلا من أُوتى حظاً وافرًا في البحث عن المواطن التي تُرضي الله تعالى، فيحيث الخطأ إليها، لا يفكّر بهذا الارقاء والتسامي إلا من آتاه الله تعالى بُعدًا في النظر وإحاطة بالمصالح العامة، وبما تنتظره الأمة من المجاهدين في سبيل الله تعالى".

لا يفكّر بهذا الارقاء: إلا من رزقه الله تعالى العلم بالمواطن التي تغطي الكفار والمرتدين" انتهى.

وفي نظرتهم لبقية الناس: قال أبو حمزة المهاجر في كلمة (إن الحُكُمُ إِلَّا لِلَّهِ) بتاريخ 10-11-2006م:

"إن أكثر الناس كالأنعام السائبة لا يعرفون لماذا وجدوا وإنما يصيرون... فالله الله في أهلنا أهل السنة ... فإن للفرح في مزرعته والعامل في مصنعه والمدرس في مدرسته حق النصرة علينا، نحمي أعراضهم ونحفظ أموالهم ونمسك ألسنتنا عنهم" انتهى.

وقال أبو عمر البغدادي (فتح من الله ونصر قريب) 3-2-2007م:

"فلا زلنا في طور البناء وأحكام الدولة يجهلها الكثير وإنني على يقين أن المخلصين الموحدين قادمون لا محالة فالرفق الرفق يا عباد الله" انتهى.

وقال أبو حمزة المهاجر في (اللقاء الصوتي الأول) بتاريخ 24-10-2008م:

"مشروع الدولة الإسلامية جديد على الأمة، وأحكامه تغيب على كثير من طلبة العلم فكيف بعوام الناس؟ فلا نلزم الناس ونجرهم على أمور لا يفهونها" انتهى.

ثالثاً: إعلان المشروع بمعزلٍ عن موافقة الجماعات الأخرى واستشارتها، وبعد النخر فيها واكتسح أتباعها دون علمها:

1- في الغدر بالجماعات الأخرى وإعلان المشروع دون إعلامهم مع أنهم شركاء في مشاريع أخرى:

قال أبو حمزة المهاجر في كلمة (إن الحكم إلا لله) بتاريخ 10-11-2006م:

"أقول للشيخ المفضال والبطل المغوار الهاشمي القرشي الحسيني النسب أمير المؤمنين أبي عمر البغدادي: بايعتك على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا وألا ننزع الأمر أهله وأن نقول الحق حيثما كان لا نخاف في الله لومة لائم، معلناً ذوبان كل التشكيلات التي أنسنناها بما فيها مجلس شورى المجاهدين، وبالنيابة عن إخواني في المجلس تحت سلطة دولة العراق الإسلامية!" انتهى.

مع ما جاء في شهادة أبي سليمان العتبلي القاضي الأول في (دولة العراق الإسلامية):

"... وفي حقيقة الأمر يظن الناس أن قيام (الدولة) كان بعد مبادرة جماعات مجلس شورى المجاهدين لتنظيم القاعدة، ثم مبادرة شيخ العشائر بحلف المطيبيين، وليس الأمر كذلك أبداً، وإنما بايع رؤوس هذه الجماعات كسرايا الجهاد، وسرايا الغرباء، وجيش أهل السنة، وكتائب الأهوال، وجيش الطائفة المنصورة... وهم أناس لا علاقة لهم بالجهاد الحقيقي في الساحة، بل منهم من لم يحمل السلاح في حياته كلها، ومنهم من ليس له أتباع أصلاً، وإنما هي أسماء مجردة، فيابعوا واشترطوا بما بلسان الحال أو المقال أن يتولوا مناصب في هذه الدولة التي ستُعلن، ووقع الأمر كما أرادوا. وأنا أشهد بالله العظيم على ذلك بحكم قربي من أبي حمزة المهاجر، ولم يتدخل شيوخ العشائر المعروفون كما يصرح كثيراً أبو حمزة" انتهى.

2- وفي العمل على النخر في الجماعات الأخرى وأخذ بيعة أفرادها دون إذنها:

قال أبو عمر البغدادي في كلمة (وقل جاء الحق وزهق الباطل) بتاريخ 22-12-2006م:

"إنني أحمد الله وأشكده أن وفق جنده لهذه الخطوة المباركة والتي كانت باكورة ثمنها اجتماع أكثر من ثلاثة عشر فصيل وجماعة جهادية تحت راية واحدة، وذلك بعد إعلانهم الطيب في حلف المطيبيين.

ثم جاءت الثمرة الطيبة سريعة ببيعة عشرات الكتائب وألاف المقاتلين من إخواننا في جيش المجاهدين والجيش الإسلامي وثورة العشرين وأنصار السنة وغيرهم، وذلك في الفلوجة والقرمة والعامرية والرمادي والغربيه والطارمية والصينية وتكريت وسامراء وبعقوبة والعلوي ثم في الموصل وكركوك وتلغرف وببغداد الحبيبة.

وكانت الثمرة الأكيدة والحساب الأعظم أن يسارع نحو سبعين في المائة من شيوخ عشائر أهل السنة في بلاد الرافدين إلى الدخول في حلف المطيبيين ومباركة بيعة دولة الإسلام والمسلمين" انتهى.

وقال في كلمة (قل إني على بيته من ربي) بتاريخ 13-3-2007م مبيناً أطراف المؤامرة على (دولته الإسلامية):

"جـ- طائفة من الحساد، دفعهم مساعدة كثير من عناصرهم وكتائبهم إلى التعاضد والتنافر وبيعة دولة الإسلام، فإن النفس جبت على حب الرفعة ، فهي لا تحب أن يعلوها" انتهى.

رابعاً: التدرج في خطاب الجماعات الأخرى من الدعوة للدخول في المشروع، ثم التكفير وإعلان القتال عند الرفض:

1- في الاعتراف بفضل هذه الفصائل وجهادها والثناء عليها لمحاولة كسبها قال أبو حمزة المهاجر (إن الحكم إلا لله) 10-11-2006م:

"إخواننا المجاهدين الأكارم أصحاب المنهج والخلق والعمل: لقد أذقتم الكافر الأهوال ومرغتم أنفه بالأوحال فداكم والله نفسي، لقد كنتم نعم الظهر والسندي، ونعم الساعد والمدد، ولقد أفرحتم قلوبنا بجهادكم ونكايتكم بعذوكم فبارك الله فيكم... فلئن كان ديننا وهدفنا واحداً وعدونا واحداً فما الذي يمكن أن تكون صفاً واحداً؟ ...

فيما أبطال جيش أنصار السنة، ويأسود الجيش الإسلامي، ويما فلذات أكبادنا في جيش المجاهدين... فقد اشتاقت أنفسنا

إليكم وحنت أحضاننا لودكم فإن إخوانكم يدعون الله أن يحفظكم وأن تبشروهم بالاليوم الذي تعلنون فيه ما عودتموه عليهم من صفاء المنهج ووضوح الهدف فتباركون دولة العراق الإسلامية وتباعيون الشرييف أميراً، فلسنا بخير منكم حتى نقدم وتبطئون فأنتم أسبق منا جهاداً وأزهد إمارة وأطوع جنوداً ونحسبكم أخلص لله ديناً... انتهي.

2- ثم لما كان هناك رفض لمشروع الدولة انتقل الخطاب للتأثيم والوصف بالمعصية:

قال أبو عمر البغدادي (فتح من الله ونصر قريب) 3-2-2007م:

كما أنتي أحب أن أؤكد لإخواننا المجاهدين الذين لم يبايعوا بعد دولة الإسلام الحقائق الآتية:

أولاً: إنهم إخوة لنا نحميهم بأنفسنا ونذب عنهم بأسنتنا ولا نتهمهم بکفر أو فجور غير أننا نرى المعصية في تخلفهم عن واجب الوقت وهو الجماعة والاعتصام بحبل الله ...

ثانياً: أقول لإخواني جنود دولة الإسلام اتقوا الله في إخوانكم المجاهدين فلا يسمعوا منكم إلا طيباً ولا يروا منكم إلا خيراً انتهى.

وقال في كلمة (قل إني على بينة من ربِّي) بتاريخ 13-3-2007م:

"نرى أن أبناء الجماعات الجهادية العاملين في الساحة إخوة لنا في الدين ، ولا نرميهم بکفر ولا فجور ، إلا أنهم عصاة لخالفهم عن واجب العصر وهو الاجتماع تحت راية واحدة" انتهى.

ثم لما أكثروا من قتل من اتهموا بالعملة للمحتل وضجت الفصائل بالاعتراض:

قال أبو عمر البغدادي في كلمة (حصاد السنين بدولة الموحدين) بتاريخ 17-4-2007م:

النداء الثالث: لشيوخ العشائر خاصة: اعلموا - أصلحني الله وإياكم - أن كل واحد منكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فلينظر كل واحد منكم من أي المفاتيح هو ... واعلموا إخوانى أن نكث العهد الذى بيننا كبيرة من كبائر الذنوب ...

النداء الرابع: إلى من وقف مع المحتل وأعوانه من أبنائنا وعشائرنا ... إن من أسوأ الناس منزلة من أذهب آخرته بدنيا غيره ... والفرصة لا تزال أمامكم يا من تثورون على شرع الله وعلى عباده وأوليائه المجاهدين الدافعين عن أغراضكم وأموالكم وببلادكم ومن قبلها دينكم...

فيا إخواننا في جيش أنصار السنة وجيش المجاهدين إن الود بيننا عميق وأواصر العقيدة والمحبة هي أكبر وأقوى وأمنن من أن تناول بمكروه.

ويا أبناء في الجيش الإسلامي اعلموا أن دمي دون دمائكم وعرضي دون عرضكم ووالله لن تسمعوا منا إلا طيبا ولن تروا منا إلا خيرا فطيبوا أنفسا وقرروا عينا فما بيننا أقوى مما يظنوا بعضهم غفر الله لهم.

ثم تدرج خطوة أخرى باتهام بعض الفحصاء بالعملة فقال في كلمة (ويمكرن ويمكر الله) 15-9-2007م معدداً خطة فإننا نبرأ إلى الله ونشهدكم أنا لا نسفك دماً لمسلم معصوم قصداً ما دام صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل نبيحتنا" انتهى.

ويما جنود ثورة العشرين ... فوالله إنا لندين الله بحرمة دمائكم وكل مسلم ما لم يرتكب كفراً بواحاً أو دماً حراماً...

المحتل في ضرب الجهاد:
"ثانياً: تحريضُ وتأليبُ ضعافِ النفوسِ من شيوخِ العشائرِ ضدَّ أبنائهمُ المجاهدينَ مُتَرَّفينَ بالدعَّاوى الكاذبةِ وبعضِ الأخطاءِ التي تُظْهِرُ من بعضِ المجاهدينِ، والتَّلاطُ والتَّخَانَلُ من مساجِّدِ حِلْقَارِ، حتَّى تُنْهَىُ عنِ الأَئْمَاءِ عَلَيْهِ الْحَمْلَةُ الْمُسْلَمُونَ"

ثالثاً: تأسيس مجالس الخيانة والعمالة، في مدن العراق المختلفة وإيجاد الشرعية السياسية والعقدية لها، ودعوة الناس للانخراط فيها من حمة، والانسلاخ من بناته من حمة أخرى...»

هذا وقد دخلَ في هذا المشروعِ الخبيثِ بعضُ الفصائلِ المقاومةِ والتي تَبَسَّرَ زوراً ثوبَ السلفيةِ ... فشاركوا في اجتماعٍ خطيرٍ ضمَّ فصائلَ المقاومةِ الشريفةِ على حدِّ زعمِهم في إحدى الدولِ العربيةِ، والتي لها علاقةً وطيدةً مع دولة اليهود

"إسرائيل"، وبإشرافِ أمريكيّي ...

فيما أيها المنخدعون: إن باب التوبّة مفتوحٌ، وخاصّةً قبلَ القدرةِ علىكم" انتهى.

وقال في كلمة (فاما الزبد فيذهب جفاء) بتاريخ 4-12-2007م:

"بينما وقفت معظم الفصائل السلفية منها والوطنية وقفه المتفرج بل والطاعن فينا وبكل وسيلة" انتهى.

وقال في كلمة (البنيان المرصوص) بتاريخ 15-4-2008م:

"فضح رايات كانت تدعى السلفية فإذا هي اليوم عمّة جاهلية، من قتل تحتها فقتلة جاهلية" انتهى.

ثم كان التكفير العلني بالعموم في كلمة (وعد الله) بتاريخ 22-9-2008م:

وكلمتى الثانية إلى الذين كنا نحسبهم ظاهرياً معنا في الميدان يقاتلون المحتل الكافر فإذا بهم وبعد إعلان دولة الإسلام يتحالفون مع الصليبي والرافضي ...

إنكم يوم أن كنا نظركم على الحق كنا نفديكم بأرواحنا ونستركم بأجفاننا، ولما رأينا الردة والخذلان منكم، انكسر القلب المأ وحزناً، فلو فقدتُ والدي وولدي وأهلي أجمعين كان أهون علىَ من ردة أحد منكم، فكيف بهذا الجمع الغفير! فاتقوا الله يا من أهلكم أئمة السوء وأمراء الضلال، اتقوا الله يا جنود المجلس السياسي السابقين واللاحقين، وأخص منهم الكاذبين بانتقامهم لمنهج السلف...

فإن أبيتم التوبّة قبلَ القدرةِ علىكم فوالله لقتل المرتد أحبُ إلىَ من مئة رأسٍ صليبيّة" انتهى.

- أما الوضع في سوريا فهو معروف ومشهور، ويُكفي فيه الإشارة إلى أنه وبعد إعلان تنظيم (الدولة) لخلافته حاول حتى الجماعات المختلفة على الانضمام لها، ومن ذلك قول العدناني في كلمته (هذا وعد الله) بتاريخ 29-6-2014م:

" بإعلان الخلافة صار واجباً على جميع المسلمين مبايعة ونصرة الخليفة إبراهيم حفظه الله، وتبطل شرعية جميع الإمارات والجماعات والولايات والتنظيمات، التي يتمدد إليها سلطانه، ويصلها جنده" انتهى.

ولما ظهر الرفض العام من سائر علماء المسلمين والجماعات الجهادية والدعوية وفشلوا في ذلك رغم بذل الكثير من الجهود والأموال، أُعلن عليها الحرب والقتال، فقال العدناني في كلمة (قل للذين كفروا ستغلبون) بتاريخ 14-10-2015م، والتي ملأها تهديداً ووعيداً للمجاهدين: "سنفرق الجماعات، ونشق صفوف التنظيمات، نعم لأنّه مع الجماعة لا جماعات، وسحقاً للتنظيمات، سنقاتل الحركات والجماعات والجبهات، سنمزق الكتائب والألوية والجيوش حتى نقضى بإذن الله على الفصائل؛ فما يضعف المسلمين ويؤخر النصر إلا الفصائل" انتهى.

خامساً: التكفير والقتل لا يكفي!

ما إن تفقد هذه الجماعات ما كانت تصبو إليه، وعدم كفاية التكفير والقتل لردع ما تظنه خيانة وعمالة صدّها، حتى تبدأ في المزيد من الانتقام والتشفّي عن طريق اتخاذ وسائل وحشية في القتل، كما ظهر في تصرفات تنظيم (الدولة) في التحرير والتغريق والتغيير وغيرها، أو حتى في استخدام ألفاظ التشفّي والسباب والشتائم المقدّعة.

فقد ظهر في كلام العدناني الكثير أمثل قوله:

في كلمة (الرائد لا يكذب أهله) بتاريخ 1-2014م في تهديد مجاهدي سوريا: "فاعلموا أن لنا جيوشاً في العراق وجيشاً في الشام من الأسود الجياع، شرابهم الدماء، وأنيسهم الأشلاء، ولم يجدوا فيما شربوا أشهى من دماء الصحوات" انتهى.

- وقال "وأما من يصرّ على البقاء في صفوف صحوات الخيانة والدياثة والعمالة" انتهى.

- وقال في كلمة (الاقتحامات أفعى) بتاريخ 11-2012م: "ولتعلم صحوات الخيانة والدياثة .." انتهى.

وخير من يمثل هذه النقطة من البيانات الرسمية الأخيرة: كلمة (ومن ينقلب على عقيبه) لعبد الله الحسيني أمير (جند الأقصى) التي يندر أن يوجد لها إصدار، وتتّخذ التّقىّة وسيلةً لإخفاء معتقداتها الغالية، لكنه لم يتمالك نفسه أمام الأحداث

الأخيرة المتتسارعة فيما رأه ضياعاً للثمرة، فجاءة كلمته سباباً وشتائم وتکفیراً وتخويناً عاماً للجميع، وهذه نبذ سريعة منها:
"ثم جاء "مؤتمر الرياض" ليسلب ما تبقى عندهم من الدين والرجلولة والشرف...
وقد لبّاهم جمّع ممن نجحوا في استعباده بثمن بخس! وبعض من تعب من طول الطريق وبعدت عليهم الشقة ...
وها نحن نرى ازدحاماً ذليلاً على أبواب عواصم أنظمة شاخت في عداوة الإسلام وأهله...
وأيم الله ليس في ذلك الجمع من طاهر! ...

إننا نرى وسط هذا الزحام من لا يرجون لله وقاراً، ولا يقيمون لشريعته وزناً، وآخرون شاكّون في موعوده وأمره، ما حملوا السلاح عبادة ولا قربة ولا رجاء الآخرة، إنما وصولية ومكرًا وثعلبة...
لقد تناصي أولئك الخونة مئاتآلاف القتلى والجرحى ...

ولا يخفى أن هؤلاء ليسوا مجرد خونة منقلبين على أعقابهم فحسب! بل جملة من الحمقى والبلهاء...
إن الخيانة أقلّ ما يمكن أن يُوصف به الغاردون الموقعون...

وها هي قبورهم [أي المهاجرين] تشهد على المؤتمر ومن وقع عليه بخسّة الطبع ودناءة الطوية ونفوس جُبّلت على الوضاعة والعقوق، ولا عجب فهماليوم مجرد عبيد مسلوبى الإرادة والرجلولة والدين...
أما الصادقون ممن انتسب لتلك الفصائل الموقعة، إن قيادتكم في الخارج قد زهدت بالجهاد وباعتكم بثمن بخس ... وهم اليوم يقامرون بجهودكم ويبعيون دمائكم" انتهى.

سادساً: نماذج من التصرفات الرعناء لهذه الجماعات:

تتنوع رعنونه هذه الجماعات في تصرفاتها من انشغال بالأمور السيرة عن الأمور الهامة، أو التعامل مع مختلف الفصائل والناس تعامل الحاكم المتغلب، وأشدّها انحرافاً فكريّاً وضرراً واقعياً التصرف بناءً حتمية تحقق النصر ونزول الوعد الإلهي، فتنقلب موازين التصرفات، وتختلف الأهداف، وتخلو الأعمال من أسبابها ومرحلتها.

قال أبو سليمان العتببي في (رسالته إلى القيادة في خراسان) متحدثاً عن تصرفات أبو حمزة المهاجر:
" ومن الأخطاء التي تمس العقيدة: الفهم الخاطئ عندهم لبعض أشرطة الساعة، ولو كان الأمر مقتضاً على هذا لسهل حله، ولكن المشكلة أنه عداه إلى العمل الجهادي في الساحة، مثل ما جزم بأن المهدي سيظهر في أقل من عام وكان هذا في رمضان 1427هـ ، مما دعاه إلى القول بأننا سنمك الأرض كاملة في أرض الرافدين في غضون ثلاثة أشهر، فأصدر أمراً بالنزول في الساحات وعدم الانسحاب لمدة أسبوع حتى يأتي الأمر بالانسحاب وهذا خطير على الإخوة، وإلى كتابة هذه السطور من عام ولم نملك الأرض فضلاً عن ظهور المهدي، وكذلك نتاج عن هذا الفهم الخاطئ، التسرع في اتخاذ القرارات وكان الساعة ستقوم غداً، ومن ذلك إعلان الدولة بهذه الصورة المستعجلة الضعيفة مع ما فيها من أخطاء سأبینها في موضعها، ولقد صرّح لي أكثر من مرة بعد مناقشته في مثل هذه الأمور بقوله: ما بقي شيء على ظهور المهدي حتى إنه أمر بعض الأخوة بأن يصنعوا له منبراً ليرتقيه المهدي في المسجد الأقصى!!!! وآخر لمسجد رسول الله والثالث للمسجد الأموي بدمشق" انتهى.

وهو ما يوافق ما كررها زعماء التنظيم في مناسبات كثيرة عن اقتراب النصر أيام (دولة العراق) ويكررها هذه الأيام.
ومن التصرفات الرعناء:

عدم معرفة قدر المعركة واحتياجاتها، والاغترار بقليل السلاح.

جاء في كلمة الحسني أمير (جند الأقصى) والتي أنت في هذه الأيام العصيبة على المجاهدين:
"فها هي الشام وكأن الله قد هيأها وأزلفها لتكون منطلق البعث الإسلامي القادم العارم.وها هي ثورة أهلها قد ربت وأمرعت خلال سنين من بركات الجهاد المدرج بالدم الطاهر. فإذا بها اليوم مزداناً بمقومات النهوض، مستجمعة لعوامل قيامة الأمة

الكبرى؛ فمجاهدون قد خبروا أشد المعارك وأقصى أصنافها، وجماعات سنية لن تُغلب من ضعف ولا قلة، وعتاد يكاد أن يستوفى المماثلة مع كثير من جيوش الباطل المحيطة.. "انتهى.

سابعاً: تغير الخطاب بين الوعد بالتمكين، وسنة الابلاء!

ومع أن الوعد بالتمكين حقيقة إلهية ثابتة، وكذلك سنة الابلاء، إلا أنَّ الجزم بوقوع أحدهما لجماعة محددة، أو وقت معين، هو من ادعاء الغيب المحرم، أما الاقتصار على جانب من تلك النصوص حين ظن توقعها فهو من التلاعب! حيث تسعى هذه الجماعات لحشد الأتباع وقت نشأتها وصعورها بالحديث عن وعود التمكين، وقرب ملامسة النصر، وتحققه على أرض الواقع، وما إن تحل بها الخسارة وتلاشي الجماعة حتى تبدأ بالحديث عن الابلاء، وتأخر النصر، وأنواع النصر، ونحو ذلك..

قال أبو بكر البغدادي في كلمة (والله يعلم وأنتم لا تعلمون):

"التدافع والصراع مستمر، والفتنة والابتلاء والتمحيص دائم، إلا أن العاقبة للمتقين، والفوز والفلاح للمؤمنين الصادقين الصابرين، وإن المجاهد في سبيل الله لن تزيده المحن إلا نقاوة وصفاء، ولا الشدائد إلا عزيمة وثباتاً، فاصبروا يا أيها المجاهدون في الدولة الإسلامية في العراق والشام، وصابروا ورابطوا ولا تحزنوا من خذلان القريب وتواطؤ الأعداء، ولا تهولنكم الحملة الشرسة ضد الدولة؛ فإن الله عز وجل ينصر جنده، ويدافع عن الذين آمنوا..." انتهى.

وقال العذناني في كلمة (فيقتلون ويقتلون):

"أيها المجاهدون؛ لا يظننَّ جاهل أن المجاهدين في سبيل الله؛ لا يخسرون معركة!
كلا؛ فإن الحرب سجال، والأيام دول.

وإن المجاهدين في سبيل الله قد يخسرون معركة أو مدينة أو منطقة، ولكنهم لا يهزمون أبداً.
وتكون العاقبة والغلبة في النهاية لهم دائماً" انتهى.

وبعد أن يكون الحديث دائراً عن حتمية النصر وتحقق الوعد، واستخدام تاريخ (إخفاق المنافسين) دليلاً على بطلان منهجهم، يصبح الحديث عن أهمية الحفاظ على القيم في وجوه المنبطحين وعديمي القيم، ولو أدى إلى القتل أو الأسر أو العيش بين الجبال، وأنه من سنن الله في الكون!

ولا يجدون غضاضة في اختلاف هذه المواقف وتناقضها، واستدلالهم بما كانوا يعيبون به على مخالفיהם؛ لأنَّهم هم أصحاب المنهج الحق، وهم الأعلم بالدليل الشرعي، ولهم حق تفسيره وتنزيله على أرض الواقع!

وفي الختام:

يُتضح من خلال التاريخ الطويل والتجارب العديدة التي مرت بها هذه الحركات أنَّ (الغلو في التكفير) ليس هو الانحراف الأخطر في هذه الجماعات، بل كان (التكفير) دوماً وسيلةً وسلاحاً للوصول إلى أهداف أخرى، وأنه خلال التاريخ الطويل والأحداث الكثيرة من النشأة والتطور في المعتقدات والمواقوف، وتعدد التجارب تبلورت نفعية هذه الجماعات، وأصبحت تبحث عن مصلحتها المضطبة، لا مصلحة الأمة ولا الشعب، ولا الجهاد، وتبذل كل الأسباب الشرعية والكونية، وتسخر جميع الجهود والطاقات لمصلحتها فحسب، وإن كان جميع ذلك بخطاء ديني شرعي، ومبررات عديدة كما سبق.

وبهذا يزداد الانحراف شيئاً فشيئاً، وتتكسر الأخطاء وتنعمق، وتبتعد هذه الجماعات عن الدين الحق أكثر فأكثر، لحكمة يشاوها الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

(*) غني عن القول إن مقالة مختصرة لا يمكن الإلمام بتفاصيل كامل الفكرة المطروحة والاستدلال عليها، وهي بحاجة لدراسات معمقة موثقة، وأن ذلك لا يكون بمعزل عن بقية المواد التي تتحدث عن غلو هذه الجماعات وانحرافاتها، وكذا الفروق بين هذه الجماعات في هذه المسألة.

المصادر: